الامام ابو سعد السمعاني
صاحب الانساب

أ . د قحطان عبد الستار علي الحديثي
كلية الاداب – جامعة بغداد

[١]

هذا علم من اعلام الفقه ، ورمز من رموز الحديث ، وسناء ساطع في دنيا التأليف والتدوين، حظي باكرام العلماء . واجلال الفقهاء ، وتقدير المؤرخين. فسمقت به ولاية خراسان . وعلت بذكره مدينة مرو . واعتزت بوجوده الامصار الاسلامية . انه : عبد الكريم ابن الحافظ تاج الاسلام معين الدين ابو بكر محمد بن العلامة المجتهد ابي المظفر منصور ، بن بكر محمد بن عبد الجبار بن احمد بن جعفر بن احمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله بن عبد المجيب[١] .

هو سليل النسب العريق والارومة العربية الاصيلة باجماع المؤرخين[٢] وكنيته ابو سعد[٣] . ويتضح انه كان اكبر ابنائه . كما لقب بالسمعاني[٤] بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتح العين المهملة وبعد الالف نون . هذه النسبة الى سمعان وهو بطن من تميم[٥] ولذلك يلقب ايضاً التميمي[٦] . كما قيل فيه المروزي[٧] بفتح الميم والواو وبينهما الراء الساكنة. وفي اخرها الزاي نسبة الى مدينة مرو[٨] من اشهر مدن خراسان حتى سمي الربع الثاني من ارباع خراسان باسمها[٩] ينتسب ابو سعد السمعاني الى القبيلة العربية المشهورة تميم بن مرة بن ادبن طابحة بن الياس بن مضر بن نزار بن عدنان[١٠] .

وهكذا يتضح عروبة الانتماء للسمعاني اصوله العريقة ونسبه العربي الخالص(١١) .

لقد ذكره الشيخ عز الدين ابو الحسن علي بن الاثير الجزري(ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) في اول مختصرة فقال : ابو سعد واسطه عقد البيت السمعاني وعينهم الباصرة ، ويدهم الناصرة . اليه انتهت رياستهم ، وبه كملت سيادتهم(١٢) .

ثم قال في مدح نسبه وانتمائه العربي الاصيل :

نسب كان عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا(١٣)

ومن المؤكد ان نسب السمعاني هذا الى قبيلة تميم العربية الكبيرة وذات الشهرة الواسعة، وما قدمته من نشاط في العهود الاسلامية المختلفة في النواحي السياسية والادارية والفكرية .قد ساعده على اكتساب مكانة رفيعة ، ومنزلة حسنة ومحل متميز .

ومرو مدينة كبيرة مشهورة تقع على نهر مرغاب (اي ماء مرو)(١٤) وقد عرفت في مصادرنا التاريخية بـ " مرو الشاهجان"(١٥) . وقيل في تفسيرها " لانها كانت للملك خاصة . فالشاه الملك والجان النفس. فهي فرج الروح . وهي في معناها - نفس السلطان- وقد سميت بذلك لجلالتها عندهم "(١٦) .

وقيل لها مرو " الكبرى " و" السفلى " و" العظمى" و" ام خراسان "(١٧) ونص عليها ابن البيع الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) في تاريخ نيسابور مع كونه القافي فضائل نيسابور . الا انه لم يقدر على دفع فضائل هذه المدينة(١٨) .

ومرو اجل كور خراسان . مدينة قديمة البناء . يقال انها من بناء الاسكندر. اما قنهدزها فانه من بناء الملك طهومرث(١٩) .

افتتحها هاشم بن النعمان الباهلي وهو من قبل عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) . ويقال ان الاحنف بن قيس حضر فتحها في سنة ٣١ هـ / ٦٥١م[٢٠] .

وكانت دار الامارة بخراسان بمرو وبلخ الى ايام الطاهرية ، فنقلوها الى نيسابور[٢١] فكانت مرو منازل ولاة خراسان واول من نزلها الخليفة المأمون (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م) ثم من ولي خراسان بعده حتى نزل عبد الله بن طاهر (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) مدينة نيسابور[٢٢] .

يقول الاصطخري (ت٣٤١هـ / ٩٥٢م) الذي قدم لنا وصفاً بديعاً لمدينة مرو ان فيها " ثلاثة مساجد للجماعات هي مسجد العتيق، ومسجد بني ماهان والمسجد الذي على نهر ماجان. ودار الامارة على ظهر المسجد العتيق . والقهندز في الكبر مثل مدينه الا انه خراب . واما اسواقها فانها في القدم كانت على باب المدينة جنب المسجد العتيق فانتقلت الى ماجان وللمدينة الداخلة اربعة ابواب "[٢٣]. كما وصفها المقدسي (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م) بقوله : " قصبة نفسية طيبة طريفة... مشايخ اجله عقولهم شريفة. مذكر فقيه يقفو ابا حنيفة . مدارس لكل دارس وظيفة . اسواق حسنة. ولاتسأل عن حمامات مرو فانها معروفة ... قد خربت الا منازل طفيفة وربض ثلثة مهدم. مكاسب ضيقة.. بالجامع دوادين الخراج ، والشرط . والغالب عليه اصحاب ابي حنيفة. وهي نظيفة الاسواق وهي اشبه البلدان برملة فلسطين "[٢٤] .

وذكر ياقوت ايام مقامه في مرو ثلاثة اعوام يجمع مادة لكتابة معجم البلدان الى ان تركها سنة (٦١٦هـ / ١٢١٩م) ان فيها جامعين للحنفية والشافعية يجمعها السور . واشار الى اشتهار مرو قبل ورود التتار اليها وخرابها بخزائن كتبها " وفيها عشرة خزائن للوقف . ويستطرد ياقوت (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) في الاشادة بمرو يقول : " وكان السلطان سنجر بن ملك شاه السلجوقي

مع سعة ملكه. قد اختارها على سائر بلاده . وما زال مقيماً بها الى ان مات وقبره بها "(٢٥) .

وبمرو قبور بعض الصحابة منهم بريدة بن الحصيب ، والحكم بن عمرو الغفاري ، وسليمان بن بريدة(٢٦) .

وقد تعرضت مرو الى تخريب التتار في سنة (٦١٧هـ ، ١٢٢٠م) . اما في خزائن مرو من نفائس الكتب فقد اصبحت طعمة للنيران عقب نهب المغول لهذه المدينة العيظمة(٢٧). وحينما مر بها ابن بطوطة (ت ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م) شاهد الخراب فيها ظاهراً كبيراً(٢٨) . ثم تحدث معاصرة المستوفي (ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) عن ماضي مرو الزاهر ومجدها الغابر وذكر سور المدينة الذي بناه السلطان ملكشاه. ثم قال في سياق وصفه لمرو ان الخراب مازال مستولياً على اكثرها وان استعادت في ختام المنة الثامنة للهجرة شيئاً من بهائها الاول . فان تيمورلنك كان كثيراً ما ينزل عندها حين يخفت دوي الحرب(٢٩) .

وتشتهر مرو بانتاجها الزراعي والصناعي الذي اسهبت بذكرها مصادرنا التاريخية(٣٠).

لقد اخرجت مرو من الاعيان وعلماء الدين والاركان ما لم تخرج مدينة مثلهم منهم الامام احمد بن محمد بن حنبل ، وسفيان بن سعيد الثووي ، واسحاق بن راهوية ، وعبد الله بن المبارك وغيرهم . واليها ينسب عبد الرحمن بن احمد ابو بكر القفال المروزي وحيد زمانه وهو احد اركان مذهب الشافعي (ت ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م) وابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن اسحاق المروزي احد ائمة الفقهاء الشافعية مات (٣٤٠هـ / ٩٥١م)(٣١) .

[٢]

ولد ابو سعد السمعاني في مدينة مرو يوم الاثنين الحادي والعشرين (٢١) من شعبان سنة ست وخمسمائة (٥٠٦هـ / ١١١٢م)[٣٢] . وكان العصر الذي ولد فيه السمعاني حافلاً بافانين العلم والمعرفة وبكل لون من الوان الثقافة والادب .ولابد ان يتأثر السمعاني ويؤثر في حركة عصره ونشاط جيله . اضافة الى انه قد ولد في بيت علم وفكر وفقه . اجتمعت لهم رياسة الدين والدنيا ونالوا منهما الحظ الوافر الذي لم ينله غيرهم[٣٣] . وقد دون السمعاني اخبار اهله واجداده في رسم " السمعاني" من كتابه الانساب . كما نص عليها بن الاثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) في مدونته اللباب[٣٤] ومن خلال دراستنا لاباء السمعاني وسلفه يتضح ان اول من حدث هو القاضي الامام ابو منصور محمد بن عبد الجبار بن احمد . كان اماماً فاضلاً ورعاً متقناً احكم العربية واللغة وصنف فيها التصانيف المفيدة . وولداه ابو القاسم علي ، وابو المظفر منصور جده[٣٥] .

اما ابو القاسم علي بن محمد بن عبد الجبار السمعاني الحنفي فكان فاضلاً عالماً طريفاً كثير المحفوظ . خرج الى كرمان وحظي عند ملكها وصاهر الوزير بها ورزق الاولاد . ولما انتقل اخوه الامام ابو المظفر منصور جد ابو سعد السمعاني من مذهب ابي حنيفة الى مذهب الشافعي رحمهما الله هجره اخوه ابو القاسم واظهر الكراهة. ولكن اتضح ان ابا المظفر قد انتقل عن مذهب القدرية الذي صار في اصول اعتقاد اهل مرو . وصنف ابو المظفر منصور كتاباً يزيد على عشرين جزءاً في الرد على القدرية وهداه اليه فرضي عنه ابو القاسم علي، وطاب قلبه ونفذ اليه ابا العلاء علي بن علي السمعاني اليه للتفقه عليه . فاقام عنده مدة ليتعلم ويدرس الفقه . ولما مات والده علي بن محمد . فوض اليه ما كان الى والده من المدرسة وغيرها .ورزق ابو العلاء الاولاد بكرمان ونواحيها ، فكانوا فضلاء وعلماء[٣٦] .

اما الامام ابو المظفر منصور بن محمد جد ابو سعد السمعاني ، فكان امام عصره بلا مدافعة . حج سنة ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م . وكان امام الشافعية بمرو. وصنف في مذهب الشافعي، وفي غيره من العلوم تصانيف كثيرة . من نظر فيها علم محله من العلم .

ولد ابو المظفر منصور سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٤م في مدينة مرو ، وتوفي بها سنة ٤٨٩هـ / ١٠٩٥م . ورزق من الاولاد خمسة هم ابو بكر محمد والد ابو سعد السمعاني ، وابو محمد الحسن ،وابو القاسم احمد ، وابن رابع ، وبنت لم يذكر اسماؤهما قد ماتا عقب موته بمدة يسيرة(٣٧) .

امام والده الامام ابو بكر محمد بن منصور فكان يفتخر به ويقول على رؤوس الاشهاد في مجلس الاملاء : " ابني محمد - ابو سعد - اعلم مني وافضل مني " . تفقه عليه وبرع في الفقه وقرأ الادب على جماعة وفاق اقرانه وقرض الشعر المليح . سافر الى العراق والحجاز ، ورحل الى اصبهان لسماع الحديث ، وادرك الشيوخ والاسانيد العالية واملي مائة واربعين مجلساً في الحديث . وكان فقيهاً شافعياً اماماً فاضلاً مناظراً محدثاً حافظاً . كتب الى ابنه ابي سعد عبد الكريم الاجازة بجميع مسموعاته . ولد سنة (٤٦٦هـ / ١٠٧٣م) وتوفي سنة (٥١٠هـ / ١١١٦م) بمدينة مرو(٣٨) .

وعمه الاكبر ابو محمد الحسن بن ابي المظفر منصور كان اماماً زاهداً ورعاً كثير العبادة والتهجد نظيفاً منوراً . تفقه على والده وسمع معه الحديث ولد بعده بسنتين وافاده اخيه عن جماعة من الشيوخ . وكان ابو محمد الحسن يكرم ابا سعد عبد الكريم ويحبه وقد قرأ عليه الكتب المصنفة مات سنة (٥٣١هـ / ١١٣٦م) . وقد وصل نعيه الى ابي سعد وهو باصبهان . ولده ابن عم عبد الكريم اسمه محمد بن الحسن ابو منصور السمعاني . كان شاباً فاضلاً طريفاً قرأ الادب

وبرع فيه كانت له يد باسطة في الشعر باللسانين . وقد سمع منه ابو سعد من شعره الكثير توفي بعد والده بسنتين سنة (٥٣٣هـ / ١١٣٨م) (٣٩) .

وابو القاسم احمد بن منصور العم الاصغر لابي سعد السمعاني وكان استاذه حيث اخذ عنه الفقه وعلق عليه الخلاف وبعض المذهب .كان اماماً فاضلاً عالماً مناظراً واعظاً مليح الوعظ شاعراً حسن الشعر . تفقه على والد ابي سعد واخذ عنه العلم . وقد انتخب ابو سعد عليه اوراقاً وقرأ عليه عن شيوخه وخرج معه الى سرخس وانصرفا الى مرو ومنها الى نيسابور . ولد سنة (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) وتوفي سنة (٥٣٤هـ / ١١٣٩م) .

وامة الله هرة اخت ابي سعد السمعاني امرأة صالحة عفيفة كثيرة الدرس للقرآن مديمة للصوم راغبة في الخير واعمال البر حصل لها ابوها الاجازة عن ابي غالب محمد بن الحسن الباقلاني البغدادي . وقرأ عليها ابو سعد احاديث وحكايات باجازتها عنه كانت ولادتها سنة (٤٩١هـ / ١٠٩٧م)(٤٠) .

هذا هو بيت الامام السمعاني . عائلة علم وفقه وادب وشعر واحاديث. بيت وعظ وافتاء ومناظرة . وفي هذا الجو العائلي نشأ صاحبنا ابو سعد السمعاني وشب وتعلم ودرس وتفقه ووعظ . ولامندوحة من ذلك فان والده الذي كان يشعر بقرب موته وهو لم يجاوز عمره اربعين سنة قد سارع بادراج اسم ابنه في سجل المحدثين . فكان يحضره وهو ابن سنتين او نحوها مجالس المحدثين ويكتب له ما املوه او قرئ عليهم ويأخذ له اجازاتهم . ولم يكتف ببلده مرو بل رحل به وعمره نحو ثلاث سنوات الى نيسابور واحضره لدى كبار محديثها وسمع له منهم وعندما توفي والده كان ابو سعد عمره ثلاث سنين وخمسة اشهر . فكفل ابا سعد وصية وعماه وكلهم من خيار العلماء وفي ذلك ما يغني عن تنشئة ابي سعد في اوائل عمره . فقد حفظ القرآن وتعلم الفقه والعربية

والادب . وصار يسمع الحديث مع عميه . ثم بعد ان قارب العشرين صار يسمع بنفسه غير انهم لم يسمحوا له بالرحلة الا بأخرة(٤١) .

ألح ابو سعد على اوصيانه ان يأذنوا له بالرحلة الى نيسابور ليسمع صحيح مسلم من الثقة ابي الفضل الفراوي. فلم يأذنوا له حتى جاوز عمره الثانية والعشرين الا برفقة احد عميه . فلما اتم سماع صحيح مسلم في نيسابور، اضطر الى الرجوع الى وطنه مرو بعد عمه والوصي عليه . وفي اثناء رجوعهم الح ابو سعد السمعاني على عمه بضرورة الرحلة والعودة الى نيسابور ، وانه لا داعي لمنعه من الغربة وحده . فكان جوابهما بالاذن له وهم في مدينة طوس من اعمال نيسابور . فرجع الى المدينة واقام سنة في نيسابور ليشبع رغبته الجامحة في سماع صحيح مسلم واحاديث علمائها . ثم ذهب بعد ذلك يطوف في مراكز العلم في الدنيا عدة سنوات واتسعت رحلته فعمت الكثير من المدن والامصار(٤٢) .

ويذكر السبكي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) في طبقاته رجوع السمعاني الى وطنه بمرور سنة (٥٣٨هـ / ١١٤٣م) فتزوج وولد له ابو المظفر عبد الرحيم(٤٣) .

ويضيف السبكي قوله ان ابا سعد السمعاني رحل بابنه عبد الرحيم الى نيسابور ونواحيها وبلخ وسمرقند وبخارا ، وخرج له معجماً ثم عاد به الى مرو . والقى عصا السفر بعد ما شق الارض شقاً واقبل على الاملاء والتصنيف والوعظ والتدريس . واقام مشتغلاً بالجمع والتحديث والتدريس بالمدرسة العميدية ونشر العلم(٤٤) .

[٣]

بلغ السمعاني شأواً كبيراً في فقهه وغزارة علمه وسعة حفظه وحسن وعظه وجيد تأليفه وتدوينه . ما استحق ثناء اهل العلم ورجال الفقه والحديث. قال زميله ابو القاسم بن عساكر (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) " كان متصوناً عفيفاً

حسن الاخلاق ، وهو الان شيخ خراسان غير مدافع عن صدق ومعرفة وكثرة سماع لاجزاء وكتب مصنفه . والله السنه لنشر السنة ويوفقه لاعمال اهل الجنة "(٤٥) .

وذكره ابن الاثير " تاج الاسلام ابو سعد فانه كان واسطة عقد البيت السمعاني ..." وينقل عن الحافظ ابو محمد القاسم بن علي بن الحسن الدمشقي اجازة . انباءنا والدي ابو القاسم علي ... ابو سعد الفقيه الشافعي الحافظ الواعظ الخطيب "(٤٦) .

وقال ابن النجار (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) " كان مليح التصانيف كثير النشوار والاناشيد لطيف المزاح ظريفاً حافظاً واسع الرحلة ثقة صدوقاً دينا"(٤٧).

ووصفه ابن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) بـ" تاج الاسلام الفقيه الشافعي الحافظ صنف التصانيف الحسنة الغزيرة الفائدة "(٤٨) .

واثنى عليه الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) بقوله " الحافظ البارع العلامة تاج الاسلام ابو سعد ... كان ذكياً فهماً سريع الكتابة مليحها . درس وافتى ووعظ وكتب عمن دب ودرج . وكان ثقه حافظاً حجة واسع الرحلة عدلاً ديناً جميل السيرة حسن الصحبة كثير المحفوظ "(٤٩).

وفي مكان اخر قال عنه الذهبي "الحافظ ابو سعد تاج الاسلام محدث المشرق . وصاحب التصانيف الكثيرة والرحلة الواسعة ... حافظاً ثقة مكثراً واسع العلم كثير الفضائل ظريفاً لطيفاً متجملاً نظيفاً نبيلاً شريفاً "(٥٠) .

وذكره ابن تغزي بردي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) " الامام الحافظ كان اماماً فاضلاً محدثاً فقيهاً "(٥١) .

اما ابن العماد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) فقال " الحافظ ابو سعد الشافعي محدث المشرق وصاحب التصانيف الكثيرة والفوائد الغزيرة والرحلة الواسعة ...

ظريفاً حافظاً صدوقاً ثقة ديناً جميل السيرة مليح التصانيف "[٥٢].

رحل ابو سعد السمعاني في طلب العلم والحديث الى مشارق الارض ومغربها وشمالها وجنوباها .وسافر الى ما وراء النهر وسائر بلاد خراسان كسمرقند وبخارا وبلخ ونيسابور وقومس والري واصبهان وهمدان وبلاد الجبال والعراق - الكوفة والبصرة وواسط - والحجاز ومكة والموصل والجزيرة وحلب والشام . واجتمع به ابن عساكر بنيسابور وبغداد ودمشق. وسمع احدهما الاخر . وكتب احدهما عن الاخر . ولقي العلماء وجالسهم واخذ منهم وروى عنهم . وكان عدة شيوخه كما ذكر يزيد على اربعة الاف شيخ[٥٣] . وقال ابن النجار " سمعت من يذكر ان عدد شيوخه سبعة الاف شيخ "[٥٤]. وقد جمع هو تراجم شيوخه في معاجمه[٥٥]. ومن ابرز شيوخه :

١. ابوه وعمّاه واخته .

٢. ابو بكر عبد الغفار بن محمد بن الحسين الشيروي النيسابوري . ذكره ابو سعد في رسم (الشيروي) من الانساب وقال : سمعت منه بنيسابور واحضرني الامام والدي رحمه الله وشكر سعيه وسمعني منه " .

٣. ابو العلاء عبيد بن محمد بن عبيد القشيري التاجر النيسابوري .

٤. ابو القاسم سهل بن ابراهيم السبعي المسجدي النيسابوري ذكره السمعاني في رسم (السبعي) وقال : سمع منه جماعة من شيوخنا وادركته واحضرني والدي عليه بنيسابور. وقرأ عليه جزءاً " .

٥. ابو عبد الله بن الفضل الفراوي . واليه على الاخص رحل ابو سعد مع عمه سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م .

٦. ابو القاسم تميم بن ابي سعيد الجرجاني مسند هراة .

٧. ابو الفرج سعيد بن ابي الرجاء الاصبهاني .

٨. ابو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري النيسابوري .

٩. ابو نصر احمد بن عمر بن محمد الغازي الاصبهاني . ذكر ابو سعد في رسم (الغازي) وقال : " ثقة حافظ ما رايت في شيوخه اكثر رحلة منه " .

١٠. ابو الحسن محمد بن عبد الملك بن محمد الكرجي الفقيه الشافعي ذكره السمعاني في رسم (الكرجي) وقال : وكان اماماً متقناً مكثراً من الحديث " .

١١. ابو محمد هبة الله بن سهل بن عمر السيدي البسطامي النيسابوري ذكره السمعاني في رسم (السيدي) وقال : كان من اهل العلم وبيت الامامة سمعت منه الكثير .

١٢. ابو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي النيسابوري .

١٣. الامام ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن عطا المروزي "سمعت منه الكثير وكان اماماً متقناً مصيباً ومناظراً ورعاً . كان والدي لما توفي فوض النظر في مصالحي ومصالح اخي اليه وجعله وصياً " هكذا قال السمعاني .

١٤. ابو محمد عبد الجبار بن محمد بن احمد الخواري .ذكر السمعاني في رسم (الخواري) وقال: "كان اماماً فاضلاً مفتياً متواضعاً. كتبت عنه الكثير بنيسابور وقرأت عليه الكتب ".

١٥. ابو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الانصاري البغدادي .

١٦. ابو منصور عبد الرحمن بن محمد عبد الواحد القزاز البغدادي .

١٧. ابو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الاصبهاني . كان يقال له (جوزي) من اجل شيوخ ابي سعد ذكره في رسم (جوزي) وقال : استاذنا وشيخنا وامامنا ... وكان يملي عليّ في كل اسبوع يوماً مجلساً خاصاً في داره وأقرأ عليه في كل اسبوع يومين " .

١٨. ابو منصور محمد بن علي بن محمود نافله الكراغي المروزي .

١٩. ابو عبد الله الحسين بن عبد الملك الخلال الاصبهاني .

٢٠. سعيد بن ابي الرجاء الاصبهاني .

٢١. ابو منصور بن زريق البغدادي . جماعة كثيرة غيرهم(٥٦) .

ان هذه النخبة الطيبة من العلماء والفقهاء والمحدثين الذين اخذ عنهم ابو سعد السمعاني .قد منحته موهبة متميزة ، ومقدرة رائعة وملكة غزيرة ومكانة فقهية وتاريخية عالية " فاستفاد وحدث فافاد واحيا ذكر سلفه . وابقى ثناءً صالحاً لخلفه "(٥٧) فتخرج علىيده وارتشفت من منهله العديد من طلبة العلم ومحبي الحديث وطالبي التاريخ .

١. الحافظ ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي .

٢. ابو محمد القاسم بن علي بن الحسن بن عساكر .

٣. ابو الفتوح يوسف بن المبارك الخفاف البغدادي .

٤. ابو احمد عبد الوهاب بن احمد بن سكينة البغدادي .

٥. ابو هاشم عبد المطلب بن الفضل العباسي الحلبي .

٦. ابو روح عبد المعز بن محمد بن ابي الفضل الهروي .

٧. ابو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني . وهو ابن ابي سعد له ترجمه في تقيد ابن نقطة قال فيها " سمعه ابوه من جماعة من شيوخ خراسان " اعتنى به ابوه وسمعه الكثير واثبت له مسموعاته في جزء كبير. وخرج له ابوه معجماً في ثمانية عشر جزءاً . وكان مفتياً عارفاً بالمذهب. وروى الكثير ورحل الناس اليه. وخرج لنفسه اربعين حديثاً وانتهت اليه رياسة الشافعية ببلدة وختم به البييت السمعاني(٥٨). توفي

ابو سعد السمعاني باتفاق المؤرخين بمدينة مرر في الثلث الاخير من ليلة غرة ربيع الاول سنة (٥٦٢هـ / ١١٦٦م) (٥٩) .

[٤]

رحل ابو سعد السمعاني الى الامصار الاسلامية والمدن العربية . وجاب الافاق والبلاد والتقى بكبار العلماء وشيوخ المحدثين واساتذة الفكر والثقافة والادب . فمنحته غزارة في العلم وسعه في الحفظ وحسن التأليف وملكه التدوين فجاءت كتبه ومؤلفاته تحمل حسن المقاصد ، ولطف الرواية ودقة النص وبراعة المنهج وكثرة الموارد . فكان من العلامة الموسوعين التي ضمت مؤلفاته العديد من العلوم والفكر ، والكثير من فنون المعرفة والثقافة .

لقد نقل ابن النجار اسماء مؤلفاته ومقادير تصانيفه عن خط ابي سعيد السمعاني نفسه تسوقها على ترتيبه :

١. ذيل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي - اربعمائة طاقة(٦٠) . وقال ابن خلكان " نحو خمسة عشر مجلداً "(٦١) . وقال فيه ابن الاثير بانه " قد اتى فيه بكل فضيلة وابان عن كل نكتة جليلة "(٦٢) . وسمعه الناس منه ببغداد في اثناء رحلته .

٢. تاريخ مرو - خمسمائة طاقة . قال ابن خلكان " يزيد على عشرين مجلداً " ويعلق السيكي بقوله " ولكنه لم يكمل فيما يغلب على ظني " ولم يستطيع السيكي ايجاد الكتاب في مصر وسوريا . لذلك كتب الى بغداد ويسأل فيما اذا كان الكتاب موجوداً .

٣. الاسفار عن الاسفار - ٢٥ طاقة .

٤. الاملاء والاستملاء - ٢٥ طاقة .

٥. التذكرة والتبصر - ١٥٠ طاقة .

٦. معجم البلدان – ٥٠ طاقة . اسماء البلدان التي دخلها في رحلته .

٧. معجم الشيوخ – ٨٠ طاقة . كأنه على اسما الشيوخ الذين اخذ عنهم الرواية . فاما ان يكن اختصر على من اكثر عنه منهم واما ان يكون ذكرهم باختصار .

٨. تحفة المسافر – ١٥٠ طاقة .

٩. التحف والهدايا – ٢٥ طاقة .

١٠. عز العزلة – ٧٠ طاقة .

١١. الادب في استعمال الحسب – ٥ طاقات .

١٢. المناسك – ٦٠ طاقة .

١٣. الدعوات الكبير – ٤٠ طاقة .

١٤. الدعوات المروية عن الحضرة النبوية – ١٥ طاقة .

١٥. الحث على غسل اليدين – ٥ طاقات .

١٦. افانيين البساتين – ١٥ طاقة .

١٧, دخول الحمام – ١٥ طاقة . قال السيكي " وكان هذب به كتاب ابيه ابي بكر في دخول الحمام " .

١٨. فضائل صلاة التسبيح – ١٠ طبقات .

١٩. التحايا والهدايا – ٦ طاقات .

٢٠. تحفه العيد في الطبقات " العيدين " ٣٠ طاقة .

٢١. فضل الديك – ٥ طاقات .

٢٢. الرسائل والوسائل – ١٥ طاقة .

٢٣. صوم الايام البيض – ١٥ طاقة .

٢٤. سلوة الاحباب ورحمة الاصحاب – ٥ طاقات.

٢٥. التحبير في المعجم الكبير – ٣٠٠ طاقة .قال المعلمي يظهر من هذا انه بقدر ستة اسباع الانساب .وذكر ابن خلكان ان الانساب نحو ثمان مجلدات. وذكره في ترجمة ابن الاثير فقال : في ثمان مجلدات . وذكر انه رأه مرة . وفي ترجمة ابي سعد من الشذرات " عمل معجم شيوخه في عشر مجلدات كبار " . وقال ابن الاثير " استوعب فيه شيوخه وتراجمهم " قال الذهبي في التذكرة " ذكر في التحبير تراجم شيوخه. فافاد واجاد. طالعته.ولا علاقة له بالمعجم الكبير للطبراني " .

٢٦. فرط الغرام الىساكني الشام – ١٥ طاقة . قال المعلمي ذكره ابن عساكر في ترجمة ابي سعد قال " واخر ما ورد علي من اخباره كتاب كتبه بخطة وارسل به اليّ سماه ... في ثمانية اجزاء كتبه سنة ستين وخمسمائة . وضمه قطعة من الاحاديث المساتيد ، واودعه جملة من الحكايات والاناشيد فذكرني حسن صحبته ودلتي على صحة محبته " .

٢٧. مقام العلماء بين يدي الامراء – ١١ طاقة .

٢٨. المساواة والمصافحة – ١٣طاقة .

٢٩. ذكرى حبيب رحل ، وبشرى مشيب نزل – ٢٠ طاقة .

٣٠. الامالي الخمسمائة – ٢٠٠ طاقة .

٣١. فوائد المواد – ٢٠٠ طالقة .

٣٢. فضل الهرة – ٣ طاقات .

٣٣. الاخطار في ركوب البحار - ٧ طاقات .

٣٤. الهريسه - ٣ طاقات .

٣٥. تاريخ الوفاة للمتأخرين من الرواة - ١٥ طاقة .

٣٦. الامالي - ٦٠ طاقة .

٣٧. تجار بخور البخاري - ٢٠ طاقة .

٣٨. تقديم الجفان الى الضيفان - ٧٠ طاقة .

٣٩. صلاة الضحى - ١٠ طاقات .

٤٠. الصدق في الصداقة .

٤١. الربح والخسارة في الكسب والتجارة .

٤٢. رفع الارتياب عن كتابة الكتاب - ٤ طاقات .

٤٣. النزوع الى الاوطان - ٣٥ طاقة .

٤٤. حدث الامام على تخفيف الصلاة مع الاتمام - طاقتين .

٤٥. لفتة المشتاق الى ساكن العراق - ٤ طاقات .

٤٦. السد والعد لمن اكتنى بابي سعد - ٣٠ طاقة .

٤٧. فضائل الشام - طاقتين .

٤٨. فضل ياسين - طاقتين .

٤٩. كتاب الحلاوة .

٥٠. المعجم الذي ألفه لابنه ابي المظفر . وقد تقدم عن ابن نقطة انه في جزء كبير . وذكر ابن خلكان وصاحب الشذرات انه في ثمانية عشر جزءاً .

٥١. عوالي ابنه ابي المظفر خرجها ابو سعد لابنه ابي المظفر . وفي تاريخ ابن خلكان انها " في مجلدين ضخمين " .

٥٢. الانساب – ٣٠٠ طاقة .قال ابن خلكان انه في ثمان مجلدات ٢ / ٣٧٩ . وذكره السخاوي في الاعلان بالتوبيخ ص ٢٣٧ ، ٢٧٦، كما ورد عند حاجي خليفة في كشف الظنون ١ / ٣٠٣ . ثم اشار اليه بروكلمان في تاريخ الادب ١ / ٢٥٤ ، الزركلي في الاعلام ٤ / ١٧٩ .

والانساب هو المدونة التي اختصرها عز الدين ابن الاثير واستدرك عليه في ثلاث مجلدات .

وقد تم طبعة والاعتنا به من قبل المستشرق د . س . مرغليوث عام ١٩١٢ في بريل – ليدن . وهي الطبعة الحجرية . كما تم تحقيقه وطبعه في حيدر اباد – مطبعة دائرة المعارف العثمانية منذ عام ١٩٥٦م . والانساب وضعه السمعاني حسب حروف المعجم .

وذكر فيه اسماء العلماء والفقهاء والمحدثين والقضاة واصحاب اللغة والادب والعلوم والمعرفة . وضمت كلمة الانساب على وفق مصطلحها اللغوي النسبة الى الاب او الجد او العشيرة او القبيلة كما ذكر نسبة المترجم الى المدينة التي سكنها او جاء اليها ومن ثم توفي فيها او تلك التي ولد فيها المترجم ثم رحل عنها . فضلاً عن المهنة التي كان يمتهنها المترجم سواء اكان ذلك في المهن الزراعية او الصناعية او التجارية والاقتصادية .

وساح ابو سعد السمعاني في اقاليم الدولة العربية الاسلامية فشملت تراجمه غالبية المدن العربية والامصار الاسلامية فكان يذكر في ترجمته كنيته واسمه ونسبه ونسبته ومولده ووفاته ما اشتهر به المترجم وعرف عنه من الصفات او العلوم والمعرفة .

وهكذا كان الانساب دائرة معارف او موسوعة معرفية ضمت ما اشتهر عليه المترجم او برز فيه من مكانة علمية او فكرية . ومن الجدير بالذكر ان ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) قد ذكر في ترجمته لمدينة مرو الشاهجان ان هناك " خزانتان للسمعانين وخزانة اخرى في المدرسة العميدية التي كان ابو سعد المسعاني يدرس فيها "(٦٣) .

ومن المؤسف ان معظم مدونات السمعاني لم تصلنا .ولم نقف الا على القليل النزر منها . وربما كانت مودعه في خزائن كتبهم في مرو . وانها قد اصابها الدمار والخراب نتيجة " ورود التتار الى تلك البلاد وخرابها "(٦٤) .

ومهما يكن فمن خلال دراستنا لمؤلفات السمعاني ومصنفاته يظهر لنا موسوعيته وامكاناته العلمية الفائقة في التدوين في علم الرجال والانساب وتواريخ المدن . كما برع في الادب والرحلة ومعاجم المدن . كما برز في العلوم الدينية والفقهية والاجتماعية والاقتصادية وفي المواعظ والاعتبارات والثقافة الادبية .

رحم الله الامام ابا سعد السمعاني الحاف البارع والعلامة المجتهد تاج الاسلام .لما تركه لنتنا من علم وفكر خلد اسمه وسجل ذكره في قائمة الخالدين المبدعين .

الهوامش :

١. السمعاني - الانساب ١٠/١ ، والنحبير ١٩/١ . ابن خلكان - وفيات الأعيان ٣٧٨/٢ ، الذهبي - تذكرة الحفاظ ١٣١٦/٤. السبكي- طبقات الشافعية ١٨٠/٧ ، أبن كثير- البداية والنهاية ١٨٥/١٢ ، الشحاوي - الأعلان ص٢٥٤ .

٢. ن. م وأنظر : أبن تغري بردي - النجوم الزاهرة ٣٥/٥ .

٣. ن. م وأنظر : أبن الجوزي - المنتظم ٢٢٤/١٠ .

٤. ن. م وأنظر : ابن العماد - الشذرات ٢٠٥/٤ .

٥. أبن خلكان - وفيات الأعيان ٣٧٨/٢ .

٦. أبن الأثير - اللباب ٩/١ ، ابن خلكان - وفيات الأعيان ٣٧٨/٢ ، اليافعي - مرآة الجنان ٣٧١/٤ ، ابن كثير - البداية النهاية ١٨٥/١٢ .

٧. ابن خلكان- وفيات الأعيان ٣٧٨/٢ ، الذهبي - تذكرة الحفاظ ١٣١٦/٤ .

٨. السمعاني - الانساب ورقة ٥١٦ - السخاوي - الأعلان ص٢٥٤ .

٩. الأصطخري- مسالك الممالك ص٢٦١، لسترنج - بلدان الخلافة ص٤٣٩.

١٠. السمعاني - الانساب ٤٧٩/١١ ، أبن الأثير - اللباب ٩/١ .

١١. أبن الاثير - اللباب ٩/١ ، ابن خلكان - وفيات الأعيان ٣٧٨/٢ .

١٢. ن. م .

١٣. ن. م .

١٤. الأصطخري - مسالك الممالك ص٢٦١ ، ابن حوقل - صورة الأرض ص٣٦٤ .

١٥. البلاذري – فتوح البلدان ص٥٠١ ، ابن خرداذ به – المسالك والممالك ص٣٦ .

١٦. ابن الفقيه – البلدان ص٣١٩ ، ياقوت – البلدان ٥٠٧/٤ .

١٧. المقدسي – احسن التقاسيم ص٣٣٠ ، الثعالبي – ثمار القلوب ص٢٥٥ .

١٨. ياقوت – البلدان ٥٠٧/٤ .

١٩. اليعقوبي – البلدان ص٢٧٩ ، قدامة الخراج ص٢٦٥ ، ابن الفقيه – البلدان ٧١ .

٢٠. البلاذري – فتوح البلدان ص٥٠١ ، اليعقوبي – البلدان ص٢٧٩ .

٢١. الأصطخري – مسالك الممالك ص٢٥٨ ، الثعالبي – اللطائف ص٢٠١ .

٢٢. اليعقوبي – البلدان ص٢٧٩ .

٢٣. مسالك الممالك ص٢٥٨-٢٦٣ . وأنظر : الحديثي – مدن خراسان ص٢٨٠ ، والتواريخ المحلية ص٦٥-٦٨ .

٢٤. احسن التقاسيم ص٣١١-٣١٢ .

٢٥. معجم البلدان ٥٠٧/٤ .

٢٦. ياقوت – البلدان ٥٠٧/٤ .

٢٧. ابن الاثير – الكامل ٢٥٦/١٢ .

٢٨. تحدفة النظار ٤١٠/١ ، لسترنج – بلدان الخلافة ص٤٤٤ .

٢٩. لسترنج – بلدان الخلافة ص٤٤٤-٤٤٥ .

٣٠. أنظر : الحديثي – أرباع خراسان ص٢٤٠ وما بعدها الذي ذكر تفاصيل ذلك .